الأثر البلاغي للتشبيه في آيات الجنة دراسة وصفية تحليلية

تاريخ تسليم المقالة: ٩ يناير ٢٠٢٠، ■ تاريخ تعديل المقالة ٢٢ مايو ٢٠٢٠ ، ■ تاريخ قبول المقالة ٢ يونيو٢٠٢٠

ايميل الباحث الرئيس: abuodiy@hotmail.com

عبد الله يوسف[1]

ملخص البحث

يتناول هذا البحث صورا بلاغية في آيات الجنة، من الناحية التحليلية، والوصفية. وتتمثل مشكلة البحث في الوقوف على أساليب التشبيه الواردة في آيات الجنة[2]، ومعرفة أثرها البلاغي في أداء المعنى المقصود بصورة أدق وأجمل؛ ويستمد البحث أهميته من حيث ارتباطه وتعلقه بالقرآن الكريم، ومساعدة المتعلمين على تأمل الصور البلاغية في ضوء آي الذكر الحكيم بعيداً عن الأشعار والقصائد كما هو المعتاد، ويهدف هذا البحث إلى دراسة صور التشبيه في آيات الجنة وأثره في المعنى، وذلك من أجل الوقوف على أثر التشبيه في المعنى، حيث استخدم الباحث المنهج الاستقرائي، في جمع المعلومات من المصادر والمراجع من مختلف كتب التفسير والبلاغة، والمنهج التحليلي الوصفي في الدراسة الموضوعية والفنية لآيات الجنة، لاستخراج صور التشبيه من تلك الآيات. فكان من أهم النتائج التي ظهرت للباحث من خلال دراسته أن التشبيه قليل جدا في الآيات التي احتوت على لفظ الجنة، كما ظهر أن الأغراض البلاغية التي تحتوي على التشبيه تكمن في ترغيب المؤمنين بالآخرة، وحثهم على الاستعداد للرحيل من هذه الدنيا الفانية. فقد وردت في خمس آيات من أصل تسعة.

الكلمات المفتاحية: التشبيه، الجنة، البلاغة، تحليل، وصف.

[1] الدكتوراه، الأستاذ المساعد بكلية اللغات بجامعة المدينة العالمية ماليزيا.

[2] نقصد بالجنة هنا، الآيات التي اشتملت على لفظ الجنة ويُقصد بها جنة الآخرة فقط.

The Analogue of the Verses of the Heaven and its Effect is an Analytical Descriptive Study

Received: January 9, 2020; ■ Revised: May 22, 2020; ■ Accepted: June 2, 2020

Author E-mail: abuodiy@hotmail.com

Abduloh Usof[1]

Abstract

This research deals with images in the verses of Heaven, analytically and descriptively. The research problem is to identify the methods of impurity contained in the verses of Heaven, and to know its rhetorical effect in performing the intended meaning in a more accurate and beautiful way. It is the usual, and this research aims to study the images of the analogy in the verses of Heaven and its effect on meaning, in the verses of Heaven in the Holy Quran, in order to determine the impact of the analogy in the meaning, where the researcher used the inductive method, in collecting information from sources and references from various history books And literature Criticism, interpretation, rhetoric, and the descriptive analytical method in the objective and artistic study of the verses of Heaven, to extract analogies from those verses. It was one of the most important results that emerged from the researcher through his study that the analogy is very few in the verses that contain the word paradise, as it appeared that the rhetorical purposes that contain the analogy lie in the desire of believers in the Hereafter, and urged them to prepare to leave this mortal world. It was mentioned in five out of nine verses.

Keywords: Simile, Paradise, Rhetoric, Analysis, Description.

[1]Ph.D. (Arabic literature teaching) Assistant Professor, Faculty of Languages, Al Madinah International University.

أولًا: التشبيه تعريف وبيان

التشبيه لغة: "شِبْهٌ و شَبَهٌ لغتان بمعنى، يقال: هذا شِبْهُهُ أي شَبِيْهُهُ وبينما شَبَهٌ بالتحريك والجمع "مُشابه" على غير قياس كما قالوا محاسن ومذاكير."[الرازي، ١٣٨/١٩٨٦]. والتشبيه: "ربط شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر"[مطلوب، ١٩٨٦، ١٧٠/٢].

واصطلاحاً: "هو الدلالة على أن شيئاً، أو أشياء شاركت في معنى، أو أكثر بأداة ملفوظة أو ملحوظة، وبتعبير آخر هو تمثيل شيء بشيء لصفة مشتركة بينهما أو أكثر، نحو: وجهه كالقمر استدارة"[قاسم، والحمصي، ١٩٩٤/ ٧٠].

ويعرفه الدكتور عبد العزيز عتيق: "التشبيه: بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرّب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه"[عتيق، ١٩٧٤/ ٦٢].

"وللتشبيه أركان أربعة هي: المشبّه، والمشبّه به، ويسميان طرفي التشبيه، وأداة التشبيه، ووجه الشبه... والتشبيه لا يكون إلا بوجود ركنيه الأساسيين: المشبه والمشبه به. أما الأداة والوجه، فقد يحذفان من التشبيه، وبحسب وجودهما أو حذفهما يتخذ التشبيه أسماءه: فالتشبيه المرسل ما ذكرت فيه الأداة، والتشبيه المؤكد ما حذفت منه الأداة، والتشبيه المفصل ما ذكر فيه وجه الشبه، والتشبيه المجمل ما حذف منه وجه الشبه، والتشبيه البليغ ما حذفت منه الأداة والوجه" [الهاشمي،١٩٩٩/٣١٤].

ونجد أن أغلب البلاغيين اتفقوا على هذه الأركان الأربعة للتشبيه، وساروا على هذا النهج في تحديد التشبيه وبيان أنواعه.

ويُعد التشبيه البليغ من أرفع أنواع التشبيه وأجودها، وأن الكلام الذي يحتوي على هذا النوع من التشبيه يُعد من أبلغ الكلام وأحسنه.

وقد قال الهاشمي عن هذا التشبيه: "والتشبيه البليغ أجود التشابيه السابقة وأعلاها رتبة في سلم البلاغة، لأن المتكلم يعمد إلى ادعاء أن المشبه هو عين المشبه به، لا شِبْهُهُ"[المرجع السابق، ١٩٩٩/٣١٥].

أما دواعي التشبيه فيرجع اختيار أسلوب التشبيه في الكلام إلى الدواعي الرئيسة التالية:

"الداعي الأول: استخدام الأسلوب غير المباشر للتعبير عن المراد، إذ هو أكثر تأثيراً في النفوس من الأسلوب المباشر غالباً، وذلك في المجالات الأدبية، وفي الموعظة، وفي كثير من صور الإقناع، ونحو ذلك.

الداعي الثاني: ما في التشبيه من طرق متعددة، وصور كثيرة، تعطي المعبّر البليغ مجالاً واسعاً لانتقاء ما يراه أكثر تأثيراً فيمن يوجه له الكلام، أو أكثر إبداعاً.

الداعي الثالث: ما في كثير من الصور التشبيهية من جمال يُرضي أذواق المتلقين ويمتعهم، إذ يقدم لهم لوحات جمالية مختلفة"[الميداني، ١٩٩٦، ١٦٧/٢].

ومن اللوحات الجمالية ما يلي:

- "ما تنتزعه الذاكرة اللمّاحة من الطبيعة الجميلة في المدركات الحسيّة كما هي.
- ومنها ما يجمع الفكر عناصره من الطبيعة، ويؤلف الخيال بين هذه العناصر تأليفاً مبتكراً في صورة، ثم يقيس الفكر عليها ويُشبّه بها.
- ومنها أشياء معنوية فكرية يصور لها الخيال صوراً ثم يقيس الفكر عليها

ويشبهه بها. وربما يشبه الفكر بها دون أن يتدخل الخيال في تصوير صور لها"[المرجع السابق، ١٩٩٦، ١٦٧/٢].

ثانيًا: التشبيه في الآيات التي وردت فيها لفظ الجنة، وأثره البلاغي

سوف يستعرض الباحث آيات الجنة والتي احتوت على التشبيه، ومن ثم يقوم بتحليل هذه الآيات بشكل مفصل، بعد ذلك سيبين فيه مواقع التشبيه في كل آية، وكذلك الأثر البلاغي لكل آية، والآيات هي[١]:

١-قال تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ). [البقرة: ٢٥].

يبشر الله –سبحانه وتعالى– المؤمنين الذين يعملون الصالحات في الدنيا، بأن لهم يوم القيامة جنات تجري من تحتها الأنهار، وكلما رزقهم الله –سبحانه وتعالى– من ثمار الجنة قالوا لقد رزقنا مثل هذا من قبل، وقوله تعالى: (وأتوا به متشابها) أي متشابه في الشكل ولكن مختلف في الطعم، كما أن لهم زوجات من الحور العين في الجنة، مطهرات من الأدناس والأقذار، وهم في الجنة خالدون دائمون لا يخرجون منها أبدا.

وفي قوله تعالى: (هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ) تشبيه بليغ حيث شبه ثمار الآخرة بثمار الدنيا في المظهر والشكل واختلف في الطعم.

يقول مقاتل بن سليمان: "الأنهار – يعني البساتين – كلما رزقوا منها من ثمرة "كلما أطعموا منها من الجنة من ثمرة (رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) وذلك أن لهم في الجنة رزقهم فيها بكرة وعشيا، فإذا أتوا بالفاكهة في صحاف الدر والياقوت في مقدار بكرة الدنيا وأتوا بالفاكهة غيرها على مقدار عشاء الدنيا، فإذا نظروا إليه متشابه الألوان، قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل، يعني أطعمنا بكرة، فإذا أكلوا وجدوا طعمه غير الذي أتوا به بكرة، فذلك قوله سبحانه: (وأتوا به متشابها) "يعني يشبه بعضه بعضاً في الألوان ، مختلفاً في الطعم" ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون لا يموتون"[البلخي، ١٤٢٣، ٣٧/١].

ويؤكد تفسير مقاتل بن سليمان ما ذهب إليه الباحث من وجود تشبيه بليغ في هذه الآية، حيث إن المشبه هو ثمار الآخرة، والمشبه به هو ثمار الدنيا، ووجه الشبه محذوف وهو التشابه في الشكل، وأداة التشبيه كذلك محذوفة وهي كلمة مثل.

وقد ورد في كتاب "تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر" قوله: (هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ) الإشارة إلى صنف الثمرة، أو مقدار اللبس بقوله (وأتوا به متشابهاً) يعني والله أعلم أشياء يشبه بعضها بعضاً، وهي متغايرة الأصناف"[العدواني، د.ت/٥٦٠].

يقول البغوي: "من ثمرة أي: ثمرة، ومن: صلة، رزقا: طعاما، قالوا هذا الذي رزقنا من قبل، قبل: رفع على الغاية، قال الله تعالى: (فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ)[الروم: ٤]، قيل: من قبل في الدنيا، وقيل: الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم، فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها

[١] تم حصر جميع الآيات التي اشتملت على لفظ الجنة –جنة الآخرة – في القرآن الكريم، ومن ثم تم استخراج الآيات التي اشتملت على التشبيه فقط لدراستها وتحليلها تحليلًا بلاغيًا.

الأولى، وأتوا به "أي: الرزق". متشابها، قال ابن عباس ومجاهد والربيع: متشابها في الألوان مختلفا في الطعوم، وقال الحسن وقتادة: متشابها أي يشبه بعضها بعضا في الجودة، أي: كلها خيار لا رذالة فيها، وقال محمد بن كعب: يشبه ثمر الدنيا، غير أنها أطيب، وقيل: متشابها في الاسم مختلفا في الطعم"[البغوي، ١٤٢٠، ٩٤/١].

ويقول محي الدين درويش في كتابه: "التشبيه البليغ في قوله: هذا الذي رزقنا من قبل، وسمي بليغا؛ لأن أداة التشبيه فيه محذوفة فتساوى طرفا التشبيه في المرتبة ومن أمثلته قول أبو العلاء يصف ليلة:

ليلتي هذه عروس من الزنج *** عليها قلائد من جمان"[درويش، ١٤١٥، ٦٣/١].

ومن خلال التفاسير التي أوردها الباحث اتضح أن المفسرين اتفقوا على تشابه ثمار الدنيا بثمار الآخرة في الجنة من حيث الشكل والمظهر، وإنما الاختلاف يكون في الطعم والمذاق.

وهذا التشبيه جاء لغرض التشويق، وحث المؤمنين على الاجتهاد في الدنيا لنيل الأجر العظيم يوم القيامة، وهو دخول الجنة، والتمتع بمتاعها التي لا تزول أبدا.

والغرض من تشبيه ثمار الآخرة بثمار الدنيا هو ترغيب المؤمنين بما في الجنة من متاع، فقد تكون مشابهة في الشكل الموجود في الدنيا، ولكن الطعم والمذاق سيكون مختلف تماماً عما يعرفه الإنسان في الدنيا، وهذا يزيد من نسبة فضول الإنسان لتذوق تلك الثمار، فيجتهد أكثر حتى يصل إلى مراده.

٢-قال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيب)[البقرة:٢١٤].

أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية تطييباً لقلوب المؤمنين، وقد اختلف العلماء في نزول هذه الآية، فمنهم من قال إنها نزلت في غزوة أحد، ومنهم من قال إنها نزلت في غزوة الأحزاب، وليس هذا مجال هذه الدراسة.

والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى يُخبر المؤمنين حين اشتدّ عليهم البلاء والكرب، واشتدت عداوة اليهود لهم أنهم لن ينالوا الأجر، وهو الفوز بالجنة دون العمل والصبر، ثم شبه الله سبحانه وتعالى حالهم بحال الأمم السابقة الذين أصابهم من الكرب والهم، وأنهم لم ينالوا ما نالت تلك الأمم حتى أنهم أزعجوا، ومن شدة الإزعاج الذي أصابهم شبه الله ذلك الإزعاج بالزلزلة حتى وصل بهم الحال أن يقول الرسول والمؤمنون معه متى نصر الله؟ وفي هذا تصوير لشدة المحنة التي أصابتهم، حيث إن الرسل يُعرفون بالصبر والثبات إلا أن الشدّة قد بلغت منتهاها، ثم أتى بعد ذلك الجواب من الكريم الرحمن، ألا إن نصر الله قريب، أي أنه آتٍ وأنه قد حان أوانه.

وتكمن الصورة البيانية في هذه الآية في قوله تعالى: (وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ) حيث شبه الله -سبحانه وتعالى- حال المؤمنين مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- بحال المؤمنين مع رسلهم من الأمم السابقة، وأن الغرض من هذا التشبيه للتخفيف عن المؤمنين، وتشجيعهم على الصبر، وأن الجنة لا ينالها إلا الصابرون.

والتشبيه هنا تشبيه تام، حيث ذُكر المشبه وهو حال المؤمنين مع الرسول —صلى الله عليه وسلم-، وذُكر المشبه به وهو حال المؤمنين مع رسلهم من الأمم

السابقة. وأيضا تم ذكر أداة التشبيه وهي "مثَل"، ووجه الشبه وهو البأساء والضراء التي مستهم.

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة قبل أن تبتلوا وتخبروا وتمتحنوا كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم، ولهذا قال ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء، وهي الأمراض والأسقام والآلام والمصائب والنوائب"[ابن كثير، ١٩٩٩، ٤٢٧/١].

وقد ورد في تفسير البغوي قوله: "(وَلَمَّا يَأْتِكُم) وما صلة (مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا) شبه الذين مضوا (مِن قَبْلِكُم) النبيين والمؤمنين (مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ) الفقر والشدة والبلاء (وَالضَّرَّاءُ) المرض والزمانة (وَزُلْزِلُوا) أي حركوا بأنواع البلايا والرزايا وخوفوا (حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ) ما زال البلاء بهم حتى استبطئوا النصر. قال الله تعالى: (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيب) قرأ نافع حتى يقول الرسول بالرفع معناه حتى قال الرسول، وإذا كان الفعل الذي يلي حتى في معنى الماضي ولفظه "لفظ" المستقبل فلك فيه الوجهان الرفع والنصب، فالنصب على ظاهر الكلام"[البغوي، ١٤٢٠، ٢٤٤/١].

ويقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: أم حسبتم ولما فيها معنى التوقع، وهي في النفي نظيرة «قد» في الإثبات. والمعنى أن إتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم الذي هي مثل في الشدّة. ومسّتْهُمُ بيان للمثل وهو استئناف، كأن قائلا قال: كيف كان ذلك المثل؟ فقيل: مستهم البأساء وزُلْزِلُوا وأزعجوا إزعاجا شديداً شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال، والأفزاع حتّى يقُول الرّسُولُ إلى الغاية التي قال الرسول، ومن معه فيها متى نصْرُ اللهِ أي بلغ بهم الضجر، ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك"[الزمخشري، ١٤٠٧، ٢٥٦/١].

ومن ظاهر تفسير هذه الآية نجد أن الله – سبحانه وتعالى– يشجع المؤمنين، ويحثهم على الصبر في الشدة والمصائب، وأن الجنة ليست سهلة المنال كما يظنون، وإنما تنال بالمثابرة والاجتهاد في القيام بالأعمال الصالحة، والصبر عند الشدائد، والحمد والشكر في الرخاء.

وقد جاء الغرض من هذا التشبيه لتطييب نفوس المؤمنين، حيث إنهم استبطئوا نصر الله لهم، حيث وقع بهم البلاء لدرجة أن صبرهم بدأ ينفذ، فأنزل الله – سبحانه تعالى– هذه الآية يشبه حالهم بحال الأمم السابقة، وكيف أن الأمم السابقة تحملوا الصعاب، وصبروا على ما أصابهم فنالوا بذلك الثواب العظيم.

٣–قال تعالى:(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)[آل عمران: ١٨٥].

يُخبر الله سبحانه وتعالى عن حال الخلق أجمعين، وأن كل من في هذا الكون سيموت لا محالة، والسعيد من ينجو من عذاب الله حين تُعرض الأعمال بين يديه يوم القيامة، ويُخرج من النار ويدخل الجنة بإذنه. ثم يصف الله سبحانه وتعالى هذه الدنيا بأنها فانية لا تدوم، وأنها مجرد متاع مؤقت زائل تغرّ بالإنسان، وتؤدي به إلى اتباع الشهوات والملذات، والخسران يوم القيامة.

في الآية تشبيه بليغ، وذلك في قوله تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُور) حيث شبه الحياة الدنيا بالبضاعة البخيسة التي يُخفي صاحبه عيوبها حتى يخدع الناس ليشتروه، وذلك مثل الذي يغتر بالدنيا فهي فانية زائلة، وكل من يجري خلفها سيخسر آخرته.

يقول ابن كثير: "وقوله: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُور) تصغيرًا لشأن الدنيا، وتحقيرًا لأمرها، وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة، كما قال تعالى: (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ) [الأعلى: ١٦-١٧]، وقال تعالى: (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[النحل: ٩٦].

وقال تعالى: (وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[القصص: ٦٠]، وفي الحديث: "والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع إليه؟"[ابن كثير، ١٩٩٩، ١٧٨/٢].

ويقول الزمخشري في أساس البلاغة: "والدنيا متاع الغرور، وهو كل ما يستمتع به. وهذه أمتعة فلان وأماتعه. وتمتعت بالعمرة. وأمتعني بفراقه أي جعل متاعي فراقه كقوله:فأعتبوا بالصيلم" الزمخشري، ١٤٠٧، ١٩٢/٢].

وقد ورد في كتاب "إعراب القرآن وبيانه": "في الآية تشبيه بليغ، فقد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به بائعه على طالبه حتى ينخدع ويشتريه. وقد أخرج سبحانه الكلام بهذا التشبيه مخرج الإنكار على من جعل ديدنه الاغترار بالدنيا، وتلمّظ أفاويقها، وهي في الواقع لا نفع فيها ولا طائل تحتها، وأية فائدة ترجى من الشيء الذي يعتوره الفناء؟!"[درويش، ١٤١٥، ١٢٤/٢].

ويقول أبو السعود في تفسيره لهذه الآية: "(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) وعدٌ ووعيدٌ للمصدِّق والمكذب (وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ) أي تُعطوْن أجزية أعمالِكم على التمام والكمالِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي يوم قيامِكم من القبور (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ) أي بعد عنها يومئذ ونجى، والزحزحة في الأصل تكرير الزح وهو الجذبُ بعجلة (وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبُغية، (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) أي لذاتها وزخارفُها (إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُور) شبّهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام، ويغر حتى يشتريه، وهذا لمن آثرها على الآخرة، فأما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور إما مصدر أو جمع غار"[أبو السعود العمادي، د.ت، ١٢٣/٢].

وورد في تفسير ابن عطية قوله: "والغُرُورِ، الخدع والترجية بالباطل، والحياة الدنيا، وكل ما فيها من الأموال، فهي متاع قليل تخدع المرء، وتمنيه الأباطيل، وعلى هذا فسر الآية جمهور من المفسرين، قال عبد الرحمن بن سابط: متاعُ الْغُرُورِ كزاد الراعي يزود الكف من التمر أو الشيء من الدقيق يشرب عليه اللبن، قال الطبري: ذهب إلى أن متاع الدنيا قليل لا يكفي من تمتع به، ولا يبلغه سفره. قال القاضي: والْغُرُورِ في هذا المعنى مستعمل في كلام العرب، ومنه قولهم في المثل: غش ولا تغتر، أي لا تجتز بما لا يكفيك، وقال عكرمة: متاعُ الْغُرُورِ، القوارير أي لا بد لها من الانكسار والفساد، فكذلك أمر الحياة الدنيا كله"[ابن عطية، ١٤٢٢، ٥٥٠/١].

ويظهر التشبيه البليغ من حيث ذكر المشبه وهو الحياة الدنيا، وذكر المشبه به وهو متاع الغرور، ثم حُذف أداة التشبيه وهو "مثل"، وحُذف كذلك وجه الشبه وهو زوال الدنيا ومتاعها، وأنه لن يبق إلا عيش الآخرة.

ومن خلال التفاسير السابقة تأكد أن الغرض من التشبيه في هذه الآية هو حث الناس على عدم الاغترار بمتاع الدنيا، وأن الدنيا زائلة فانية، وأن كل ابن آدم سيموت، وأن الدنيا فانية فلابد له من أن يستعد للرحيل من هذه الدنيا، لأنه من نجا من النار، وأُدخل الجنة فقد فاز فوزاً عظيماً، وليس هناك فوزٌ أعظم من

الفوز بالجنة والتنعم بنعيمها، والأعظم من ذلك كله رؤية الله –عزّ وجلّ–، ومصادقة نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– في الجنة، وباقي الأنبياء عليهم السلام، وصحابة رسولنا الكرام أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين.

وكذلك هذه الآية تحتوي على وعد ووعيد للمصدق والمكذب بآيات الله، فقد وعد الله المتقين بالفوز بالجنة والخلود فيها والتمتع بنعيمها، بخلاف المكذب المشرك، فقد توعده الله –عزّ وجلّ– بعذاب أليم، وأن النار هي مثواهم، ومأواهم فبئس المأوى وبئس المصير.

٤–قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)[الأعراف: ٢٧].

يُحذر الله –سبحانه وتعالى– الخلق أجمع من أن يفتنهم الشيطان، بوساوس، وأمور أخرى تدعوهم إلى معصية الله والشرك به، وإخراجهم من الجنة كما أخرج أبويهم آدم وحواء من قبل، حينما وسوس لهما الشيطان ليأكلا من الشجرة المحرمة، حيث أخرجهما الله من الجنة، وكشف عنها لباسهما ليريا سوآتهما، ثم يُخبر سبحانه بأن الشيطان وجنوده يرون الإنس من حيث لا يراهم، وقد جعلهم الله –سبحانه وتعالى– أولياء للمشركين والمكذبين بدعوة الرسل والأنبياء.

وفي هذه الآية تشبيه تمثيلي، حيث مثّلَ فتنة الشيطان لهم بفتنتهم لآدم وحواء حين أخرجهما الشيطان من الجنة بحيلهم ووساوسه، وجاء بالمضارع في قوله: (ينزع عنهما لباسهما) لتجسيدها أمام السامع واستحضار الصورة التي وقعت في عصر آدم وحواء.

يقول مقاتل بن سليمان في تفسيره: "يا بني آدم يعنيهم لا يفتننكم الشيطان في دينكم أمر الثياب فيدعها عنكم، فتبدي عوراتكم كما أخرج أبويكم يعني كما فعل بأبويكم آدم وحواء فأخرجهما من الجنة، وبدت عورتهما، فذلك قوله: ينزع عنهما لباسهما يعنى ثيابهما ليريهما سوآتهما يعني عوراتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم يقول يراكم إبليس، وجنوده من الشياطين من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون، يعني لا يصدقون"[الأزدي البلخي، ١٤٢٣، ٥/٢].

وقد ورد في "البلاغة العربية" قوله: "أي: كما أخرجَ أَباكم وأمّكم، فقد جاء ذكرهما بعبارة (أَبَوَيْكُمْ) على سبيل التغليب، لما بينهما من علاقة، وغُلِّبَ الذكر على الأنثى"[الميداني، ١٩٩٦، ٥١٢/١].

ويقول البغوي: "يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان، أي: لا يضلنكم الشيطان، كما أخرج أبويكم، أي: كما فتن أبويكم آدم وحواء فأخرجهما، من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما، أي: ليرى كل واحد منهما سوأة الآخر. إنه يراكم، يعني الشيطان يراكم يا بني آدم، هو وقبيله جنوده، قال ابن عباس: هو وولده. وقال قتادة: قبيله الجنّ والشياطين، من حيث لا ترونهم، قال مالك بن دينار: إن عدوا يراك، ولا تراه لشديد المئونة إلا من عصم الله، إنا جعلنا الشياطين أولياء قرناء وأعوانا، للذين لا يؤمنون"[البغوي، ١٤٢٠، ١٨٦/٢].

وقد ورد في "إعراب القرآن وبيانه: "التشبيه التمثيلي: في تمثيل فتنة الشيطان لهم بقصة آدم وحواء

حين أخرجهما الشيطان بأحابيله من الجنة، وجاء بالمضارع في قوله: (ينزع عنهما لباسهما) لاستحضار الصورة التي وقعت في أوغل العصور وتجسيدها أمام السامع"[درويش، ١٤١٥، ٣٢٨/٣].

ويقول أبو السعود في تفسيره: "(يَا بَنِي آدَمَ) تكريرُ النداءِ للإيذان بكمال الاعتناءِ بمضمون ما صدر به، وإيرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سببُه (لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ) أي لا يوقِعنّكم في الفتنة والمحنة بأن يمنعكم من دخول الجنة (كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ) نعتٌ لمصدر محذوفٍ أي لا يفتِننّكم فتنةً مثل إخراجِ أبويكم، وقد جُوّز أن يكون التقديرُ لا يُخرِجنكم بفتنته إخراجاً مثل إخراجه لأبويكم والنهي، وإن كان متوجهاً إلى الشيطان، لكنه في الحقيقة متوجّهٌ إلى المخاطبين كما في قولك لا أرينك ههنا وقد مرّ تحقيقُه مراراً"[أبو السعود العمادي، د.ت، ٢٢٢/٣].

بعد عرض التفاسير الماضية لهذه الآية تبين أن الله –سبحانه وتعالى– يحذر المؤمنين من إغواء الشيطان للبشر، كما فعل من قبل إبليس مع آدم وحواء عليهما السلام، حيث أخرجهما من الجنة.

إذن، الغرض من هذا التشبيه هو التحذير من الوقوع في المعاصي والفتن، وعدم الخضوع لأوامر الشيطان وملهيات الدنيا، فإنها تُبعد العبد عن الرب جل في علاه، وتقربه من الخلود في النار يوم القيامة أعاذنا الله منها.

٥–قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ)[الأعراف: ٤٠].

يقول الله –سبحانه وتعالى– إنّ الذين كفروا، وكذبوا بما أنزله الله تعالى على رسله لا تفتح لهم أبواب السماء، وقد اختلف العلماء في تفسير قوله "لا تفتح لهم أبواب السماء"، فمنهم من قال بأنهم أعمال الكفار لا تصعّد إلى السماء، ومنهم من قال بأن أرواحهم لا تصعد إلى السماء، أو لا تفتح لهم أبواب السماء حال وفاتهم، إلا أن هذا الاختلاف ليس مجال دراستنا، ثم يؤكد الله تعالى أنهم لا يدخلون الجنة وشبه استحالة دخولهم للجنة كاستحالة دخول الجمل في ثقب الإبرة، فهذا جزاء المجرمين المكذبين الذين كذبوا بآيات الله ورسله.

وتكمن الصورة البيانية في هذه الآية في قوله تعالى: (حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) ففيه تشبيه ضمني، أي أن الله سبحانه وتعالى أكّد استحالة دخولهم الجنة، وربط أمر دخولهم الجنة بتمكن الجمل من الدخول في ثقب الإبرة، وهو تمثيل للاستحالة.

وورد في كتاب الصناعتين: وقوله تعالى: (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)، وهذا إنما هو على البعيد؛ ومعناه لا يدخل الجمل فى سمّ الخياط، ولا يدخل هؤلاء الجنة[العسكري، ١٤١٩/ ٢٥٧].

ويقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: "والقرآن أحال على ما هو معروف عند النّاس من حقيقة الجمل وحقيقة الخياط، ليعلم أن دخول الجمل في خرت الإبرة محال مُتعذّر ما داما على حاليهما المتعارفين. والإشارة في قوله: وكذلك إشارة إلى عدم تفتح أبواب السماء الذي تضمنه قوله: لا تُفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة أي، ومثل ذلك الانتفاء، أي الحرمان نجزي المجرمين، لأنهم بإجرامهم، الذي هو التكذيب والإعراض، جعلوا أنفسهم غير مكترثين بوسائل الخير

والنجاة، فلم يتوخوها ولا يطلبوها، فلذلك جزاهم الله عن استكبارهم أن أعرض عنهم، وسد عليهم أبواب الخيرات"[ابن عاشور، ٢٠٠٠، ٨/ ١٢٨].

وذكر البغوي في تفسير هذه الآية: "وقال ابن عباس: لأرواحهم، لأنها خبيثة لا يصعد بها بل يهوي بها إلى سجين، إنما تفتح أبواب السماء لأرواح المؤمنين وأدعيتهم وأعمالهم، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، أي: حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة، والخياط والمخيط واحد، وهو الإبرة والمراد منه أنهم لا يدخلون الجنة أبدًا، لأن الشيء إذا علق بما يستحيل كونه دل ذلك على تأكيد المنع، كما يقال: لا أفعل ذلك حتى يشيب الغراب، أو يبيض القار، يريد: لا أفعله أبدًا. وكذلك نجزي المجرمين"[البغوي، ١٤٢٠، ١٩١/٢].

وقد ورد في التفسير المنير: (حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)، فيه تشبيه ضمني، أي لا يدخلون الجنة إلا إذا دخل الجمل في ثقب الإبرة، وهو تمثيل للاستحالة"[الزحيلي، ١٤١٨، ٨/ ٢٠٤].

وذكر السعدي: "وقوله عن أهل النار (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ) وهو البعير المعروف (فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) أي: حتى يدخل البعير الذي هو من أكبر الحيوانات جسما، في خرق الإبرة، الذي هو من أضيق الأشياء، وهذا من باب تعليق الشيء بالمحال، أي: فكما أنه محال دخول الجمل في سم الخياط، فكذلك المكذبون بآيات الله محال دخولهم الجنة"[السعدي، ٢٠٠٠/ ٢٨٨].

من خلال ما أُورد من التفاسير لهذه الآية، وجد أن الغرض من هذا التشبيه هو بيان استحالة دخول المكذبين بآيات الله –عزّ وجلّ– دخول الجنة.

وقد شبه الله –سبحانه وتعالى– استحالة دخولهم الجنة باستحالة دخول الجمل في خرق الإبرة الضيقة، وفي ذلك أيضاً تحذير لبني البشر من الوقوع في الشرك بالله، وتكذيب رسله، وما أنزله الله –سبحانه وتعالى– عليهم من آيات ومعجزات.

٦–قال تعالى: (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا)[مريم: ٦٣].

يُخبر الله –سبحانه وتعالى– عن أن عباده المتقين يورثهم الجنة، فهم يدخلون فيها، ولا يخرجون منها أبداً، وذلك جزاءً لإيمانهم بالله وطاعتهم لهم.

وتظهر الصورة البيانية في قوله تعالى: (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ)، وهي تشبيه تمثيلي، حيث شبه الله سبحانه وتعالى الجنة بالميراث الذي يُعطى للورثة، ولم يقل نهبها لأن الهبة تكون فيها منّة بلا سبب ولا عمل، أما الإرث فهو انتقال مال القريب إلى قريبه حال موته، فجعل الله الجنة إرثاً يرثها الإنسان عن حق وسبب.

ومما يؤيد ما ذهب الباحث إليه من حكم على هذه الآية الكريمة ما ذكره محيي الدين درويش في كتابه "إعراب القرآن وبيانه": "التشبيه التمثيلي البليغ: وذلك في قوله تعالى (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا) فقد شبه عطاء الجنة لهم بالعطاء الذي لا يرد، وهو الميراث الذي يرثه الوارث فلا يرجع فيه المورث أي نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة أقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا إسقاط والإرث في اللغة البقاء، قال عليه الصلاة والسلام: «إنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم» أي على بقية من بقايا شريعته، والوارث الباقي من أسماء الله تعالى أي الباقي بعد فناء خلقه وهو في الشرع انتقال

مال الغير إلى الغير على سبيل الخلافة"[درويش، ١٤١٥، ٦/ ١٢٦].

ويقول ابن كثير: "وقوله: تلك الجنّة التي نورث من عبادنا من كان تقيا أي هذه الجنّة التي وصفنا بهذه الصِّفات العظيمة، هي التي نورثها عبادنا المتقين، وهم المطيعون لله عزّ وجلّ في السّراء والضراء، والكاظمون الغيظ، والعافون عن الناس، وكما قال تعالى في أول سورة المؤمنون قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون إلى أن قال: (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فِيها خالدون)"[ابن كثير، ١٩٩٩، ٥/ ٢٢٠].

وذكر أبو السعود في تفسير هذه الآية: "(تِلْكَ الْجَنَّةُ) مبتدأٌ وخبرٌ جيء به لتعظيم شأنِ الجنةِ وتعيينِ أهلِها، فإن ما في اسم الإشارةِ من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتِها وعلوِّ رتبتها (الَّتِي نُورِثُ) أي نورثها (مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا) أي نُبقيها عليهم بتقواهم، ونمتّعهم بها كما نُبقي على الوارث مال مُورِّثه، ونمتّعه به والوِراثةُ أقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من الألفاظ من حيث إنها لا تُعقبُ بفسخ، ولا استرجاعٍ ولا إبطالٍ وقيل يُورّث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا وأطاعوا زيادةً في كرامتهم"[أبو السعود العمادي، د.ت، ٥/ ٢٧٣].

ومن خلال التفاسير السابقة اتضح أن الغرض من هذا التشبيه هو الترغيب، والحث على تقوى الله – عزّ وجلّ–، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، حتى نصل للغاية المرجوة وهي الخلود في الجنة.

وقد شبه الله –سبحانه وتعالى– إعطاء الجنة لأهلها بالمال الموروث، ونستدل بهذا أيضاً على كرم الله –عزّ وجلّ– وجوده وإحسانه بعباده، وأن الله لا يظلم مثقال ذرة، وأن كل إنسان سينال جزاءه وحسابه يوم القيامة، فمن شاء غفر له، ومن شاء عذّبه.

٧–قال تعالى: (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)[محمد: ١٥].

يصف الله –سبحانه وتعالى– الجنة التي وعدها للمتقين، ففيها أنهار من ماء غير متغير الطعم، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه من حموضة، أو نحو ذلك، وأنهار من خمر لذيذة الطعم، وأنهار من عسل صاف نقي لا يختلط معه شيء آخر، ولهم فيها ما لذ وطاب من الثمار والفواكه وغيرها، ثم يقول الله –عزّ وجلّ– أساكن الجنان كمن هو خالد في النار؟ وسقوا ماء حاراً شديد الغليان بالإكراه فتتقطع أمعاؤهم.

وفي قوله تعالى: (كمن) هنا لتأكيد التشبيه، حيث شبه أن أهل الجنة ينعمون في نعيم الجنة بالأنهار والحور العين وغيرها من الملذات التي أعدها الله –سبحانه وتعالى– للمؤمنين المتقين في الجنة، كمن هو خالد في النار، فالتشبيه هنا من حيث الخلود، إلا أن الفرق بين الفريقين كبير، ففريق في الجنة وفريق في السعير، فأهل الجنة في نعيم مقيم، وأهل النار في عذاب وجحيم. والاستفهام في قوله: "كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ" استفهام إنكاري، حيث إنه لا يستوي أهل الجنة، وأهل النار من حيث النعيم والعذاب، وما إلى ذلك.

ويقول مقاتل بن سليمان في تفسير هذه الآية: (مثل الجنة التي وعد المتقون). الشرك، يقول شبه الجنة في الفضل، والخير كشبة النار في الشدة وألوان العذاب، ثم ذكر ما أعد لأهل الجنة من الشراب، وما أعد لأهل النار

من الشراب فقال: فيها يعني في الجنة أنهار من ماء غير آسِنٍ يقول لا يتغير كما يتغير ماء أهل الدنيا فينتن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه كما يتغير لبن أهل الدنيا عن حاله الأولى فيمخض، وأنهار من خمر لذة للشاربين لا يصدون عنها ولا يسكرون كخمر الدنيا تجري لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفًّى ليس فيه عكر، ولا كدر كعسل أهل الدنيا فهذه الأنهار الأربعة تفجر من الكوثر إلى سائر أهل الجنة"[الأزدي البلخي ، ١٤٢٣، ٤/ ٤٦].

وذكر أبو السعود في تفسير هذه الآية: "(كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمّن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى: والنار مثوى لهم، وقيل هو خبر لمثل الجنة على أنّ في الكلام حذفا، تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار أو أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد في النار، فعري عن حرف الإنكار، وحذف ما حذف تصويراً لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة، وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار"[أبو السعود العمادي، د.ت، ٦/ ١٥٤].

وورد في "التحرير والتنوير" قوله: "والتقدير: أكمن هو خالد في النار. والإنكار متسلط على التشبيه الذي هو بمعنى التسوية... والمقصود: بيان البون بين حالي المسلمين، والمشركين بذكر التفاوت بين حالي مصيرهما المقرر في قوله: (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)[الحج: ٢٣] إلى آخره، ولذلك، لم يترك ذكر أصحاب الجنة، وأصحاب النار في خلال ذكر الجنة والنار فقال: (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ)[الرعد: ٣٥] وقال بعده (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ)[محمد:١٥]. ولقصد زيادة تصوير مكابرة من يسوي بين المتمسك ببينة ربه، وبين التابع لهواه، أي هو أيضا كالذي يسوي بين الجنّة ذات تلك الصفات وبين النّار ذات صفات ضدها"[ابن عاشور، ٢٠٠٠، ٢٦/ ٩٤].

ومن خلال ما أوردنا من التفاسير السابقة للآية تبين أن المفسرين أجمعوا على أن الاستفهام في قوله تعالى: (كمن هو خالد في النار)؟ لتأكيد التشبيه؛ إذ إنه من المحال أن يتساوى الفريقان، وذلك؛ لأن الله أعدّ للمؤمنين في الجنة من النعيم والمتع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والغرض من هذا التشبيه هو وصف ما في الجنة من نعيم، وأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأن أهل الجنة، وأهل النار لا يستويان أبداً، وذلك لغرض حثّ العباد على بلوغ تلك النعم في الجنة، والابتعاد عن النار وجحيمها، وأنواع العذاب التي فيها.

٨–قال تعالى: (سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)[الحديد: ٢١].

يحثّ المولى –عزّ وجلّ– المؤمنين إلى المسابقة إلى الأعمال التي تقودهم إلى مغفرة الله –عزّ وجلّ–، للفوز بجنة عرضها السماوات والأرض، أعدّها الله للذين آمنوا بالله ورسله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

ويظهر الأثر البلاغي في هذه الآية، في قوله تعالى: "كعرض السماء والأرض"، وهو تشبيه مرسل، ذُكرت فيه أداة التشبيه، وحُذف وجه الشبه.

يقول الصابوني في تفسيره: "(وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) أي وسارعوا إلى جنة واسعة فسيحة ، عرضها كعرض السموات السبع مع الأرض مجتمعة ، قال السدي : إن الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات السبع والأرضين السبع ، ولا شك أن طولها أزيد من عرضها ، فذكر العرض تنبيها على أن طولها أضعاف ذلك"[الصابوني، ١٩٩٧، ٣/٣١٤].

والأثر البلاغي في هذه الآية يكون في حث المؤمنين، وتشجيعهم على السباق في الأعمال الصالحة، والإسراع وعدم التكاسل فيها، لأنها تؤدي إلى رضوان الله، ومغفرته، والخلود في جنته.

٩-قال تعالى:(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[التحريم: ١١].

ضرب الله مثلاً حال المؤمنين في الصبر على الشدائد والمصائب بحال امرأة فرعون، حيث إنها كانت مع أشد أعداء الله –عزّ وجلّ– في الدنيا، ولكن ذلك لم يضر إيمانها بالله –عزّ وجلّ– ولم ترتد عن دينها، بل إنها لما عذبها فرعون طلبت من المولى –عزّ وجلّ– أن يبني لها بيتا في الجنة يكون في أعلى درجة من درجات الجنان، كما أنها طلبت منه –سبحانه– أن ينجيها من أعمال فرعون الخبيثة، ومن نفسه السيئة، وكذلك أن ينجيها من قومه، ومن ظلمهم وعداوتهم للمؤمنين.

وقد ورد في تفسير القرطبي لهذه الآية فقال: "قال أبو العالية: اطلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها. فقال لهم: إنها تعبد ربا غيري. فقالوا له: اقتلها. فأوتد لها أوتادا وشدّ يديها ورجليها فقالت: (رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) ووافق ذلك حضور فرعون، فضحكت حين رأت بيتها في الجنّة. فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها! إنا نعذبها وهي تضحك، فقبض روحها. وقال سلمان الفارسي فيما روى عنه عثمان النهدي: كانت تعذّب بالشمس، فإذا أذاها حر الشمس أظلتها الملائكة بأجنحتها"[القرطبي، ٢٠٠٣، ١٨/ ٢٠٣].

ونستوحي الصورة البيانية في هذه الآية في قوله تعالى: (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون)، حيث شبه الله –سبحانه وتعالى– حال المؤمنين في الصبر على الشدائد، والمصائب بحال امرأة فرعون.

وقد أشار أبو السعود إلى ذلك في تفسيره حيث قال: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ) أي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في أن وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت أعدى أعداء الله وهي في أعلى غرف الجنة وقوله تعالى (إِذْ قَالَتْ) ظرف لمحذوف أشير إليه أي ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها إذ قالت (رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) قريبا من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين روي أنها لما قالت ذلك أريت بيتها في الجنة ردة وانتزع روحها (وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) أي من نفسه الخبيثة، وعمله السيء (وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) من القبط التابعين له في الظلم"[أبو السعود العمادي، د.ت، ٨/ ٢٧٠].

ويقول الشوكاني: "جعل الله حال امرأة فرعون مثلا لحال المؤمنين ترغيبا لهم في الثبات على الطاعة، والتمسك بالدين، والصبر في الشدة، وأن صولة الكفر لا تضرهم، كما لم تضر امرأة فرعون، وقد كانت تحت أكفر الكافرين، وصارت بإيمانها بالله في جنات النعيم إذ قالت ربِّ ابن لي عندك بيتا في الجنة"[الشوكاني، ١٤١٤، ٥/ ٣٠٥].

ويقول محيي الدين درويش: "في ضرب المثل تعريض بحفصة، وعائشة المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله –صلّى الله عليه وسلم– بما كرهه، وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه، وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكتمان فيه كمثل هاتين المؤمنتين، وأن لا تتكلا على أنهما زوجتا رسول الله، فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين، والتعريض بحفصة لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله"[درويش، ١٤١٥، ١٠/ ١٤٣] .

ومن خلال التفاسير التي عرضناها نجد أن المفسرين اجتمعوا على أن الله –سبحانه وتعالى– شبه حال المؤمنين في الصبر والشدائد بحال امرأة فرعون التي صبرت على ظلم زوجها وجبروته وعدوانه.

والغرض من هذا التشبيه هو حث المؤمنين على الصبر في الشدائد، وأن الصبر مفتاح الفرج، فقد صبرت امرأة فرعون على عدوان فرعون وظلمه، وطلبت من الله –عزّ وجلّ– أن يبني لها بيتاً في الجنة فاستجاب الله دعاءها ونجاها كذلك من فرعون وعمله ومن قومه الظالمين.

ونستعرض الآثار البلاغية التي وردت في الآيات السابقة والتي اشتملت على التشبيه في آيات الجنة، وهي كالآتي:

الآية الأولى: تشويق المؤمنين بما في الجنة من نعيم، وحثهم على الاجتهاد في الدنيا لنيل الأجر العظيم يوم القيامة، وهي التمتع بمتاع الجنة التي لا تزول أبدا.

الآية الثانية: تطييب نفوس المؤمنين، وذكر أحوال الأمم السابقة للتخفيف عما أصابهم من هم وغم.

الآية الثالثة: الحث على الاستعداد للرحيل من الدنيا، وعدم الاغترار بها، وأن كل من على هذا الكون فانٍ إلا وجهه –عزّ وجلّ–. وأن من نجا من النار وأُدخل الجنة فقد فاز فوزاً عظيما.

الآية الرابعة: التحذير من الوقوع في المعاصي والفتن، وعدم الخضوع لأوامر الشيطان وللهيات الدنيا، فإنها تُبعد العبد عن الرب جل في علاه، وتقربه من الخلود في النار يوم القيامة أعاذنا الله منها.

الآية الخامسة: بيان استحالة دخول المكذبين بآيات الله –عزّ وجلّ– دخول الجنة، وقد شبه الله استحالة دخولهم الجنة باستحالة دخول الجمل في ثقب الإبرة الصغيرة الضيقة.

الآية السادسة: الترغيب والحث على تقوى الله –عزّ وجلّ–، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، حتى نصل للغاية المرجوة وهي الخلود في الجنة.

الآية السابعة: وصف ما في الجنة من نعيم، وأن أهل الجنة وأهل النار لا يستويان أبداً، وذلك لغرض حث العباد على بلوغ تلك النعم في الجنة والابتعاد عن النار وجحيمها وأنواع العذاب الذي فيها.

الآية الثامنة: حث المؤمنين، وتشجيعهم على السباق في الأعمال الصالحة، والإسراع وعدم التكاسل فيها، لأنها تؤدي إلى رضوان الله، ومغفرته، والخلود في جنته.

الآية التاسعة: حث المؤمنين على الصبر في الشدائد، وأن الصبر مفتاح الفرج، فقد صبرت امرأة فرعون على عدوان فرعون وظلمه، وطلبت من الله –عزّ وجلّ– أن يبني لها بيتاً في الجنة فاستجاب الله دعاءها ونجاها كذلك من فرعون وعمله ومن قومه الظالمين.

وقد تبين من خلال عرض الآثار البلاغية لتلك الآيات أن الغالب في استخدام التشبيه في آيات

الجنة إنما يكون لغرض ترغيب المؤمنين بالآخرة، وحثهم على الاستعداد للرحيل من هذه الدنيا الفانية. فقد وردت في خمس آيات من أصل تسعة.

الخاتمة:

بحمد لله وقوته تم إتمام هذا البحث، وقد خرج الباحث من خلاله بنتائج وتوصيات عدة من أبرزها:

- الآيات التي اشتملت على لفظ الجنة، وتضمنت التشبيه في القرآن الكريم فقط تسع آيات.
- الصور البيانية الأخرى (المجاز، الاستعارة، الكناية) قد تكون أقوى وأكثر تأثيرا في النفس من التشبيه ولذلك نجد أن استخدام التشبيه قليل جدًا في هذه الآيات.
- أن الغالب في استخدام التشبيه في آيات الجنة إنما يكون لغرض ترغيب المؤمنين بالآخرة، وحثهم على الاستعداد للرحيل من هذه الدنيا الفانية. فقد وردت في خمس آيات من أصل تسعة.

التوصيات:

- إقامة دراسة تتحدث عن الصور البيانية في آيات الرحمة والمغفرة وأثره البلاغي.
- على الجامعات والمعاهد التعليمية الاهتمام أكثر بالدراسات البلاغية وطرق تعليم البلاغة والأدب العربي خاصة للناطقين بغير العربية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

المصادر والمراجع

البغوي، الحسين بن مسعود. (١٤٢٠ هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. (ط١). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البلخي، مقاتل بن سليمان. (١٤٢٣ هـ). *تفسير مقاتل بن سليمان*. تحقيق: عبد الله محمود شحاته. (ط١). بيروت: دار إحياء التراث.

الرازي، محمد بن أبي بكر. (١٩٨٦). *مختار الصحاح*. بيروت: مكتبة لبنان.

الزحيلي، وهبة مصطفى. (١٤١٨هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزمخشري، محمود بن عمرو. (١٤٠٧ هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. (ط٣). بيروت: دار الكتاب العربي.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (٢٠٠٠ م). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. (ط١). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الشوكاني، محمد بن علي. (١٤١٤هـ). *فتح القدير*. (ط١). دمشق: دار ابن كثير.

الصابوني، محمد علي. (١٩٩٧م). *صفوة التفاسير*. (ط١). القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

العدواني، عبد العظيم. (د.ت). *تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن*. تحقيق: حفني محمد شرف. الجمهورية العربية المتحدة: لجنة إحياء التراث الإسلامي.

العسكري، أبو هلال. (١٤١٩هـ). *الصناعتين*. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العنصرية.

العمادي، محمد بن محمد. (د.ت). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. بيروت: دار إحياء التراث.

القرطبي، محمد بن أحمد. (٢٠٠٣م). *الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: سمير البخاري*. (ط١). الرياض: دار عالم الكتب.

الميداني، عبد الرحمن حسن. (١٩٩٦م). *البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها*. (ط١). دمشق: دار القلم.

الهاشمي، محمد علي. (١٩٩٩م). *المنهل العذب في الدراسة الأدبية والإعراب والبلاغة والعروض والقوافي*. (ط٢). بيروت: دار البشائر الإسلامية.

درويش، محيي الدين بن أحمد. (١٤١٥هـ). *إعراب القرآن وبيانه*. (ط٤). دمشق: دار الإرشاد للشئون الجامعية.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (٢٠٠٠م). *التحرير والتنوير*. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.

عتيق، عبد العزيز. (١٩٧٤م). *علم البيان*. بيروت: دار النهضة العربية.

ابن عطية، عبد الحق. (١٤٢٢هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

قاسم، محمد، والحمصي، أحمد. (١٩٩٤م). *موجز علوم العربية*. (ط١). بيروت: جروس برس.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٩٩م). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. (ط٢). الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

مطلوب، أحمد. (١٩٨٦م). *معجم المصطلحات البلاغية وتطورها*. بغداد: مطبعة المجمع العلمي.